المحاضرة الثامنة
موسيقى الموشحات

أولا: تعريف الموشحات:

الموشحات: جمع مُوشَّح، وهو فنّ من فنون الشعر العربي، عرَّفَه ابن سناء الملك بقوله: "الموشَّح كلام مَنْظُوم على وزن مخصوص بقوافٍ مختلِفة". وجاء في أحد المعاجم الأدبية الحديثة أن الموشح: " شكل خارجي تتَّخذه القصيدة العربية يتكون من أجزاء معينة، لا يتحكم فيه وزن واحد أو قافية معينة، و يختلف باختلاف الشعراء" .

ثانيا: أقسام الموشح: يتكون الموشح من مجموعة من الأقسام، ولكلٍّ قسم منها اسم يميزه عن غيره، وهذه الأقسام هي :

1- المَطْلَع أو المذهب: و هو ما يُفْتَتَحُ به الموشح، و يتألَّف من قسمين (شطرين)غالباً، أو أربعة أحياناً، مثل ابن مهلهل في موشحته عن الطبيعة: **النهر سل حســـاما علي قدود الغصون**

وقد تختلف قافية الغصنين كما هو الحال في المثال السابق، وقد تتفق مثل موشحة ابن زهر:

فتق المسك بكافور الصباح ووشت بالروض أعراف الرياح

2- البَيْت[1]: و هو في الموشح غيره في القصيدة التقليدية، فالبيت في القصيدة يتركَّبُ من جزأين (شطرين): صدر البيت و عجزه، أما في الموشح فيتركَّب من جزأين و هما: الدور و القفل:

أ- الدَّوْر : و هو الجزء الذي يأتي بعد المطلع وقبل القفل، يتألف من ثلاثة أقسام على الأقل، وخمسة على الأكثر[2]، و يجب في كلِّ دور أن يكون مُتَّفقاً مع بقية الأدوار في الوزن و عدد الأقسام دون القافية .وهو هنا قوله:

وللنسيم مجـــــــال
والروض فيه اختيال
مدت عليه ظـــلال

وإذا كان الموشح أقرعا فإنّ الدور يقع في مستهلّ الموشح ، وليس للموشح عدد أدوار يلتزم به. وقد ذكر ابن سناء الملك أن الموشحات الغنائية تكون خمسة أدوار غالباً، أما الموشحات الشعرية فلا قيد عليها في عدد الأدوار وقد بلغت عشرة أدوار في موشحة ((جادك الغيث ..لابن الخطيب))

ب- القُفْل: و هو الجزء الذي يأتي بعد الدور والمتكرر في الموشحة، والمتفق مع المطلع أو القفل الأول، ويَلْزم أن يَتَّفق كل قفل مع المطلع، و مع بقية الأقفال، و مع الخرجة في الوزن والقافية وعدد الأقسام. وليست الموشحة مشروطة بعدد ثابت من الأقفال، وإن كانت العادة قد جرت على أن يكون للموشحة خمسة أقفال، ولذلك فإن الموشحة التي نتمثل بها هنا غير كاملة. والقفل في موشحنا هنا هو: والزهر شق كماما وجداً بتلك اللحون

3- الخَرْجَة: وسمّاها ابن بسّام في ذخيرته بـ(المركز)، وهي آخر قفل في الموشح، وهي تماثل المطلع والأقفال في الوزن والقافية وعدد الأجزاء. والخرجة في موشحنا السابق هي:

والبرق ساق الغماما تبكي بدمع هتـــونِ

---

[1] - أطلق بعضهم؛ ومنهم سناء بن المُلك، مصطلح البيت على ما يُطلق عليه بـ (الدّور)

[2] - يتألف البيت من ثلاثة أجزاء على الأقل وخمسة أجزاء على الأكثر، مفردة أو مركّبة من فقرتين فأكثر. وقد يتركب البيت من أربع فقر على الأكثر وهذا نادر جدا في الموشحات الأندلسية

قد تختلف الخرجة عن بقية الأقفال من حيث اللغة لأنها القفل الوحيد من الموشحة الذي يجوز فيه اللحن، حيث قد تكون عجمية أو مزيجا من العربية والعجمية أو العامية والعجمية. ولا يجوز تسرب الحن إلى الأجزاء الأخرى من الموشح وإلاّ سُمّي موشّحا مُزنّما[3]، وقد عابه الحِلي، وعدّ ناظميه من الضعفاء

ثالثا: مصطلحات لأشطر[4] الموشح: اختار الوشاحون مصطلحات مخصوص لتسمية بعض أشطر الموشح. وهذه المصطلحات هي:

أ- **الغُصْن:** و هو اسم اصطلاحي لكل قسم من أقسام المطلع، أو الأقفال، أو الخرجة، و يجب أن تتساوى جميع هذه الأجزاء الثلاثة في عدد الأغصان والترتيب والقافية ، وقلما تشذّ الموشّحات عن هذه القاعدة، وأقل عدد للأغصان في مطلع أية موشحة وفي أقفالها وخرجتها اثنان، وكما سبق يجوز أن تتفق قافية الغصنين ، ويجوز أن تختلف .

على أنّه من المألوف أن تتكون أقفال الموشح من أربعة أغصان مثل موشح لسان الدين :

جادك الغيث إذا الغيث همي يا زمــان الوصــل بالأندلس
لم يكــن وصلك إلا حلمــا في الكرى أو خلسة المختلس

ب-**السِّمْط** : هو اسم اصطلاحي لكل شطر من أشطر الدور ، و وقد يكون السمط مكوناً من فقرة واحدة كما هو الحال في موشحنا هذا، وربما تألف من فقرتين أو أكثر. و يجب أن تتساوى جميع الأدوار في عدد الأسماط ، وأكثر من تصل إليه الأسماط أربعة كقول عبادة القزاز:

بدر تــم شمس ضــحي غصــن نقا مسـك شم
ما أتــم مــا أوضحــا ما أورقــا مــا أنــم
لا جــرم مــن لمحــا مذ عشـقا قــد حرم

رابعا: أوزان الموشحات

كانت الموشحات ثورة على الأوزان التقليدية للشعر العربي، و على قوافيه، و قد لاحظ ابن سناء الملك أن الموشحات تنقسم إلى قسمين :

1 - ما جاء على أوزان أشعار العرب: و قد لجأ الوشّاحون إلى التنويع في أوزان الموشحة الواحدة، مع مراعاة أنَّ الأوزان التي يختارونها غالباً ما تكون من البحور الرشيقة الخفيفة، و قلَّ أن يستخدموا بحور الطويل والكامل والوافر و غيرها من البحور الشائعة التي تعتمد على طول النَّفَسِ و كَثْرَةِ التفعيلات. وقد قسّمه سناء المُلك إلى قسمين:

أ- **القسم الّذي لا تختلف أوزانه على أوزان الخليل:** وهو الوزن الغالب، غير أنّ ابن سناء المُلك هاجمه هجوما قاسيا لأنّه أشبه بالمخمّسات، ولا ينظمه إلاّ الضّعفاء. وقد استثنى منه الموشح الذي تختلف قوافي قفله فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمسات ومنه قول ابن زهر الحفيد (انظر النموذج)

ب-**القسم الّذي جاء على أوزان العرب:** وهو ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقريضاً محضا، فمثال الكلمة قول ابن بقّي:

صبرتُ والصبر شيمةُ العاني ولم أقلْ للمطيلِ هجــراني معذبي كفاني

2 - ما جاء على غير أوزانهم المألوفة: وهو أكثر ما بنيت عليه الموشحات، وقد حاول ابن سناء ضبط أوزانها، لكنّه عجز عن ذلك، لما يدخلها من تغييرات لا تحتكم إلى وزن منظبط.

---

[3] - زَنَم الشاةَ أو البعيرَ: قطع من أُذنه هَنَةً فتركها معلَّقَة، زنُم الشَّخصُ: كان في غاية اللُّؤم: لئيم يُعرَف بلؤمه كما تُعرف الشَّاة بزَنمتها، الزَّنِيمُ: دعِيّ، ملتصق بغير قومه فلان زَنِيم لا يُعرف له نسب،

[4] - لعلّ التسمية الّتي اصطلحها الوشاحون- بادئ الأمر- على أشطر الموشحة هي الجزء

خامسا: موضوعات الموشحات

كانت الموشحاتُ في أول الأمر وثيقة الصِّلة بالغناء، وكانت الأغراض التي تُنَاسبها هي الغزل ووصف الطبيعة، وهي أكثر الموشحات وأشهرها، وما لبثتْ أن اتَّسعت لجميع الأغراض، فقد نَظَم الوشَّاحون في المديح و الهجاء وأزجاء التهاني في المناسبات، ثم رثاء أبطال المسلمين في حروبهم مع الفرنجة .

نموذج من الموشحات:

و فيما يلي إحدى الموشحات للاستعانة بها على توضيح مدلولات هذه المصطلحات التي أطلقها الوَشَّاحون على الأجزاء التي يتركَّبُ منها الموشح عادة .

موشح (أيُّها الساقي إليك المشتكى) لابن زهر الأشبيلي

المطلع		أيُّها الســـاقي إليك المشتـــــكى قد دعـــــوناك وإن لم تسمعِ غصن غصن
البيت	الدور	وديـــــمٍ هِمْتُ في غُرَّتِـــــــهِ (سمط) وشربْتُ الراحَ من راحتِـــــــهِ (سمط) كلّما استيقظ من غفوتِـــــــهِ (سمط)
	القفل	جذب الزقّ إليـــــــه واتّـــكا وسقـــــاني أربـــــعا في أربعِ غصن غصن
البيت	الدور	غصنُ بانٍ مال من حيث استوى (سمط) باتَ من يهواه من فَرط الجـــوى (سمط) خافقَ الأحشاءِ موهونَ القـــوى (سمط)
	القفل	كلّـــما فكّـــر في البَيْنِ بـــــكى ويحـــه ! يبـكي لِمَـــا لم يقعِ غصن غصن
البيت	الدور	ما لعيـــــــــني عَشِيَتْ بالنظرِ (سمط) أنْكـــــــرَتْ بَعدَك ضوءَ القمرِ (سمط) وإذا ما شِئْتَ فاسمـــــع خبري (سمط)
	القفل	عشيَتْ عيناي من طولِ البُـــكا وبكى بعضـــي على بعضي معي غصن غصن
البيت	الدور	ليس لي صـــــــبرٌ ولا لي جلدٌ (سمط) يا لَقـــــــومي عذلوا واجتهدوا (سمط) أنكروا شكـــــــوايَ ممّا أجدُ (سمط)
	القفل	مثلُ حـــــالي حقُّه أن يشتكى كمدَ اليـــــأسِ وذُلَّ الطمعِ غصن غصن
البيت	الدور	كبدي حـــــــرى ودمعي يكفُ (سمط) يعرفُ الذنبَ ولا يعـــــــترفُ (سمط) أيُّها المعـــــــرضُ عمّا أصفُ (سمط)
الخرجة		قد نما حبُّك عنـــــــدي وزكا لا تقل في الحبِّ إنّي مُـــــدّعي غصن غصن